الاسرائيلية، وينشد النشيد الوطني الاسرائيلي في مؤتمراته، ويرفع شعارات تخدم الموقف الصهيوني وتؤكد يهودية الحزب.

ان الفضل في طرح شعار «مفاوضات مباشرة بين العرب واسرائيل، وبدون شروط مسبقة» يعود الى حزبنا. وقد تبنّت غولده مائير هذا الشعار، لأنه يخدم السياسة الرسمية الاسرائيلية. فاسرائيل تفرض شروطها على أرض الواقع؛ أما العرب، فليس من حقهم فرض شروط مسبقة ! كذلك، هناك موقف الحزب من الهجرة اليهودية وتأييده لها وراء شعار الاستيطان الانساني للقادمين الجدد؛ بينما مئات الألوف من اللاجئين الفلسطينيين مشردة في الخارج !

ومن الامور التي دار بشأنها نقاش واسع داخل الحزب، طبيعة حرب العام ١٩٤٨. كانت منطلقات الحزب ان هذه الحرب هي «حرب تحرير». وبعد نقاش حاد استطعنا الغاء هذا الموقف، وتوصلنا الى حل وسط ، بأنها «حرب استقلال» وليس «تحرير». والفرق واضح بين التسميتين. ولم يكن من الممكن التوصل الى أكثر من هذه الصيغة الوسط؛ ومع ذلك، كانوا، في كل مناسبة، يشيرون الى الدور الفعّال الذي قام به أعضاء الحزب اليهود في الدفاع عن البلاد. ففي خطاب لاميل حبيبي، في المؤتمر الخامس عشر، قال: «ان رفاقنا الشيوعيين اليهود ليسوا عدميين قوميين، وانما سفكوا دماءهم في الدفاع عن حرية بلادهم».

بمعنى آخر، لم يحدث، بعد خروج ميكونس، سوى تعديلات كلامية؛ أما الجوهر، فقد بقي قائماً ومستمراً؛ ولكننا، بعد الانشقاق، كنّا نتغاضى عن بعض الامور، وننتقد بعض الامور الاخرى داخلياً، حرصاً على ما تبقى من الحزب. ولكن، مع ذلك، لم يحدث، ولا لمرة، ان وقف الحزب وانتقد نفسه نقداً ذاتياً، علماً بأنه ارتكب اخطاء فاحشة في مسيرته، واتخذ مواقف صهيونية صارخة، مثلاً: لا يمكن اعتبار «قانون العودة»، في أي عرف من الاعراف، إلا انه قانون يجسّد العنصرية، في حين ان الحزب قد اتخذ موقفاً مؤيداً لهذا القانون؛ لكنه، فيما بعد، وبعد مرور عقد أو عقدين، اضطر الى تغيير موقفه في الداخل فقط، لكنه لم يغيّر موقفه هذا في الخارج؛ فلم يحدث ان خرج الحزب الى الرأي العام وانتقد نفسه وأعلن انه ضد قانون العودة.

اسرائيلية الحزب والجماهير العربية

بعد الانقسام، اضطررنا الى السكوت، ولم نناقش الاسباب الحقيقية للانقسام، على اعتبار اننا خارجون من تجربة قاسية، ونريد ان نحافظ على ما تبقى من الحزب، علماً بأن الواقع هو ان الانقسام كان انقساماً يهودياً ـ عربياً. صحيح ان بعض اليهود ـ وهو قلة ـ قد وقف الى جانب الشيوعيين العرب، الا ان أممية الحزب، مع ذلك، لا تقاس بنسبة أعضاء اليهود فيه. فهو من المفروض ان يكون حزباً يهودياً ـ عربياً، حتى لو كان هناك يهودي واحد فيه؛ كذلك فهو حزب أممي، حتى لو لم يكن فيه يهودي واحد. إن اممية الحزب تقاس بمواقفه وشعاراته وسياسته.

من اجل اعطاء اعضاء الحزب اليهود، الذين وقفوا معنا بعد الانشقاق، بعض الدعم من قبل الشيوعيين العرب، كنّا نقاتل من اجل ايصالهم الى الكنيست، علماً بأنهم، لوحدهم، لا يستطيعون ايصال عضو واحد، فيما لو اعتمدوا على أصوات الناخبين اليهود لوحدهم. وفي رأيي، كان هذا الموقف تعبيراً واضحاً عن اممية الشيوعيين العرب، الذين قبلوا بانتخاب مندوبين يهود للكنيست، يمثلون الحزب الشيوعي الذي يتمتع بأغلبية عربية ساحقة. وطبيعي، في أنظمة يسود فيها الاضطهاد القومي، والتمييز العنصري، ان الاقليات تلتف حول الحزب الذي يعبّر عن مصالحها، ويرفع صوتها. والجماهير العربية التفت حول الحزب الشيوعي، بأكثريتها؛ والمقصود، هنا، الجماهير الواعية، وخصوصاً العمالية منها؛ مع انه، في بداية الأمر، كانت الاكثرية تعطي اصواتها للاحزاب الصهيونية، وهذا يعود الى أسباب عدة، من ضمنها: الحكم العسكري المفروض على العرب، وعامل الضغط والخوف، والرشوة، وغياب الوعي، وعدم ادراك ان التصويت هو موقف بحد ذاته. وقد احتاج الامر منّا الى فترة طويلة حتى ادرك العرب ان التصويت موقف سياسي. ومع تصاعد الوعي، بصورة تدريجية، أصبح الحزب يحصل على ٥٠ بالمئة تقريباً من أصوات الناخبين العرب، وهؤلاء هم القوة الفاعلة والأكثر وعياً في المجتمع العربي، أي من